محسنة الطباق في شعر محمد مهدي الجواهري (دراسة تحليلية بلاغية)

م.م سه ربەست صباح جعفر

جامعة حلبجة–كلية التربية شهرزور، حلبجة، إقليم كردستان، العراق.

البريد الإلكتروني Email : sarbast.jaffar@uoh.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الطباق، أقسام الطباق، الطباق في شعر الجواهري.

كيفية اقتباس البحث

جعفر، سه ربەست صباح ، محسنة الطباق في شعر محمد مهدي الجواهري (دراسة تحليلية بلاغية)،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، أيلول ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٩ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Antithesis in the Poetry of Muhammad Mahdi Al-Jawahiri: A Rhetorical Analytical Study

Sarbast Sabah Jaffar
University of Halabja, College of Education of Sharazoor, Halabja, Kurdistan Region, Iraq

Keywords : Antithesis (Ṭibāq); Types of Antithesis; Rhetorical Devices; Muhammad Mahdi Al-Jawahiri; Arabic Poetry.

How To Cite This Article
Jaffar, Sarbast Sabah , Antithesis in the Poetry of Muhammad Mahdi Al-Jawahiri: A Rhetorical Analytical Study,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, September 2026,Volume:16,Issue 9.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study aims to investigate one of the most prominent rhetorical embellishments (al-muḥassināt al-badīʿiyyah), namely antithesis (ṭibāq), through an analytical examination of selected poetic verses by Muhammad Mahdi Al-Jawahiri. It introduces the concept of antithesis, outlines its classifications, and explores its relationship to Al-Jawahiri's poetic discourse. Antithesis constitutes one of the most significant rhetorical devices that enjoys a remarkable presence in Al-Jawahiri's poetry. It is employed not merely as an ornamental linguistic feature, but as an artistic technique that deepens meaning, reinforces semantic expression, and endows the poetic text with emotional intensity and aesthetic vitality. Al-Jawahiri employs antithesis with remarkable awareness, transforming it into a powerful means of expressing his psychological and intellectual tensions, while embodying the dialectical conflicts and contradictions that characterize human existence.

The frequent use of antithesis in Al-Jawahiri's poetry reflects his intellectual vision and life experience. His poetic consciousness was profoundly shaped by the political, social, and cultural transformations of

his time, giving rise to a series of opposing binaries such as life and death, hope and despair, freedom and tyranny, and presence and absence. These antithetical pairs constitute a defining feature of his poetic discourse, enriching it with profound semantic and aesthetic dimensions. Consequently, Al-Jawahiri's use of antithesis should not be viewed as a mere rhetorical ornament; rather, it reveals his profound awareness of the inherent conflicts that shape both human life and existence. Through this rhetorical device, he articulates his philosophical vision of reality within a poetic structure in which imagery, rhythm, and meaning interact harmoniously to produce a text distinguished by its expressive richness and evocative power.

The study adopts the descriptive-analytical approach, examining representative examples of antithesis in their various poetic contexts and analyzing their rhetorical, artistic, and semantic functions. Through this approach, the study seeks to reveal the aesthetic value of antithesis and to demonstrate its significant role in shaping Al-Jawahiri's poetic discourse and enriching its expressive and artistic dimensions.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة أبرز المحسنات البديعية الجمالية وهي (الطباق) مستخرجا إياها من خلال تحليل الابيات الشعرية لمحمد مهدي الجواهري مع التعريف بالطباق وأقسامه وبيان علاقته بأشعار الجواهري، ويُعَدُّ الطباق من أبرز الظواهر البديعية التي حظيت بحضورٍ لافت في شعر محمد مهدي الجواهري، إذ لم يكن مجرد محسنٍ لفظي يُقصد به التزيين، بل أداةً فنية أسهمت في تعميق الدلالة، وإبراز المعنى، وإضفاء طاقة انفعالية وحيوية على النسيج الشعري. وقد استطاع الجواهري أن يوظف الطباق توظيفًا واعيًا، فجعل منه وسيلة للكشف عن التوترات النفسية والفكرية في ذاته، وتجسيد الصراع القائم بين المتناقضات التي تحكم الوجود الإنساني.وتتجلى كثرة الطباق في شعر الجواهري بوصفها انعكاسًا لرؤيته الفكرية وتجربته الحياتية، فقد تفاعلت شخصيته مع التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدها عصره، فانبثقت من هذا التفاعل ثنائيات متقابلة مثل: الحياة والموت، والأمل واليأس، والحرية والاستبداد، والحضور والغياب، لتشكل ملامح خطابه الشعري وتمنحه عمقًا دلاليًا وجماليًا. ومن ثم، فإن لجوء الشاعر إلى الطباق لا يمثل نزوعًا إلى الزخرف البلاغي، وإنما يكشف عن وعيٍ عميق بجوهر الصراع الذي يطبع الحياة والإنسان، ويجسد رؤيته الفلسفية للواقع من خلال بناء شعري تتآزر فيه الصورة والإيقاع والدلالة في إنتاج نص ثري بالإيحاء والتأثير.ومن خلال اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي حاولنا تتبع نماذج الطباق في سياقاتها المختلفة، وتحليل وظائفها

الفنية والدلالية، وصولًا إلى الكشف عن قيمتها الجمالية وأثرها في تشكيل الخطاب الشعري وإغناء تجربته التعبيرية .

التمهيد :

يُعَدُّ الطباق من أبرز المحسنات البديعية التي تؤدي دورًا فاعلًا في بناء النص الشعري وإثراء بنيته الدلالية والجمالية؛ إذ لا تقتصر وظيفته على إحداث التناغم اللفظي أو التزيين الأسلوبي، بل يسهم في تعميق المعنى، وإبراز العلاقات القائمة على التضاد، والكشف عن الرؤية الفكرية والجمالية للشاعر، ومن هذا المنطلق، تتناول هذه الدراسة ظاهرة الطباق في أشعار محمد مهدي الجواهري، بوصفها إحدى الآليات البلاغية التي أسهمت في تشكيل الخطاب الشعري وإنتاج دلالاته.

وقد استطاع الشاعر أن يوظف الطباق في بناء عالم شعري تتداخل فيه ثنائيات متقابلة، مثل النفع والضرر، واالصغار والكبار، والغرب والشرق، والحضور والغياب، بما يعكس التجربة الإنسانية التي يعبّر عنها، وما تنطوي عليه من صراعات نفسية ووجدانية وفكرية، ومن ثم تسعى الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد الجمالية والدلالية لهذا المحسن البلاغي، وبيان دوره في بناء الصورة الشعرية، وتعميق البنية الدلالية، وتجسيد رؤية الشاعر تجاه قضايا الوطن، والاغتراب.

ومن خلال هذه الدراسة نحاول أن نرصد نماذج الطباق في نصوص المجموعة الشعرية، وتحليلها في سياقاتها النصية والبلاغية؛ للكشف عن وظائفها الفنية والدلالية، وبيان مدى إسهامها في تحقيق التماسك النصي وإثراء التجربة الشعرية، بما يؤكد أن الطباق يمثل عنصرًا بنائيًا فاعلًا في تشكيل الخطاب الشعري، وليس مجرد وسيلة للتزيين البلاغي، كما أن للدور البلاغي الذي يؤديه محسن الطباق في شعر الجواهري، والكشف عن آليات توظيفه واستنباط دلالاته في النصوص الشعرية نقطة أخرى نحاول إبرزها في هذه الدراسة، وتأسيسًا على ما تقدّم، ارتأينا أن نطرح الإشكالية الرئيسة للدراسة، والمتمثلة في السؤال الآتي: ما أنواع الطباق التي تتجلّى في النماذج التطبيقية المختارة للدراسة؟ وكيف وظّف محمد مهدي الجواهري هذا الفن البلاغي في شعره؟ وما الأبعاد الدلالية والجمالية التي أسهم الطباق في تحقيقها ضمن نصوصه الشعرية؟

الطباق لغةً:

لا ينشأ أيُّ مصطلحٍ علمي بمعزلٍ عن أصوله اللغوية، بل يستمد وجوده ودلالته من الجذر اللغوي الذي انبثق منه، وانطلاقًا من ذلك، فإنَّ الطباق بوصفه أحد فنون علم البديع، يقوم على أساسٍ لغوي واضح، إذ يرتبط بجذرٍ لغوي أسهم في تكوين مفهومه الاصطلاحي، قبل أن يستقر

بوصفه مصطلحًا بلاغيًا يحمل دلالات فنية محددة إذ .قال ابن منظور "الطبق: غطاء كل شيء، والجمع أطباق وقد أطبقه وطبقه فانطبق وتطبق: غطاه وجعله مطبقا... الطبق: كل غطاء لازم على الشيء، وطبق كل شيء: ما ساواه، والجمع أطباق وقد طابقه مطابقة وطباقا، وتطابق الشيئان: تساويا والمطابقة: الموافقة والتطابق: الإتفاق" (ابن منظور،د.ت،١٠/٢٠٩) ويقول ابن فارس " أطبقت الشيء على الشيء... وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد، والطبق: الجماعة من الجراد وإنما شبه ذلك بطبق يغطي الأرض. ويقال: ولدت الغنم طبقا وطبقة: إذا ولد بعضها بعد بعض، والقياس في ذلك كله واحد" (ابن فارس، ١٩٩٩، ٣/٤٤٠) وقال ابن دريد الأزدي: " الطبقة: القوم المتشابهون، والناس طبقات: بعضهم أفضل من بعض" (ابن دريد، ١٩٨٨، ١/٣٥٨) وقال الفيروز آبادي " والطبق" غطاء كل شيء، والطبق ايضا من كل شيء: ما ساواه، وقد طابقه مطابقة وطباقا، ووجه الأرض، والذي يؤكل عليه،والقرن من الزمان، أو عشرون سنة، ومن الناس والجراد: الكثير، أو الجماعة" (آبادي،١٩٩٦،٩٠٢) ثم صار الطباق يدل على الجمع بين الشيئين، يقال : فلان طابق بين ثوبين، أي جمع بينهما.(العسكري،١٩٥٢، ٣٠٧). وعلى ضوء ماذكرناه نستطيع أن نقول الطباق في اللغة يدل على الموافقة والمطابقة.

الطباق اصطلاحاً:

كان عبد القاهر الجرجاني أكثر عمقًا في تناوله لمفهوم الطباق؛ إذ لم يقتصر على بيان حقيقته البلاغية، بل ركّز على أثره في المتلقي، موضحًا أن قيمة الطباق لا تكمن في مجرد الجمع بين الألفاظ المتضادة، وإنما في ما يُحدثه من أثر نفسي وجمالي يسهم في تعميق الدلالة واستثارة الفكر وإمتاع الذوق، ويقول : " وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب ويجمع ما بين المسئم والمعرق ويريك التئام عين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين)(الجرجاني، ١٩٩١، ٣٢) وفي المقابل، عرف أبو الهلال العسكري هذا الفن على أنه (الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين السواد والبياض والليل والنهار والحر والبرد) (العسكري، د.ت، ٣١٦). وقال القزويني" المطابقة وتسمى الطباق والتضاد ايضا وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة" (القزويني، ١٩٩٨، ٤٧٧)، ولقد عرفه ابن رشيق القيرواني بقوله" المطابقة في الكلام: أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه والمطابقة عند جميع الناس: جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر، إلا قدامة ومن تبعه: فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً"(القيرواني، ١٩٩٥،٥)

ومما سبق يتضح أن المعنى الاصطلاحي للطباق لا يوافق معناه اللغوي موافقةً تامة، وإنما يختلف عنه في مجال الدلالة؛ فالطباق في اللغة يدل على الموافقة والمطابقة، أما في الاصطلاح البلاغي فيراد به الجمع بين المتضادين في سياقٍ واحد، بما يحقق غرضًا بلاغيًا يتمثل في توكيد المعنى وإبرازه وتعزيز أثره في المتلقي.

أقسام الطباق :

الطباق هو جمع بين الشيء وضده في الكلام وينقسم إلى:

١- **طباق الإيجابي (المطابقة):** وهو مالم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، نحو خير المال عين ساهرة لعين نائمة، فالقول مشتمل على الشيء وضده (ساهرة ونائمة).

٢- **طباق السلبي (المخالفة):** هو أن يجمع بين فعلين أحدهما مثبت وآخر منفي، أو أحدهما أمر والآخر نهي. مثل قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الألْبابِ﴾(الزمر:٩) فالفعل يعلمون أثبت في الطرف الأول من الطباق ونفي ب (لا) في الطرف الثاني.

٣- **وهناك نوع من الطباق** وهو الخفي والذي نسميه (الإستضداد) وهو مانعرفه بقولنا: الاستضداد أن تستعمل الكلمة بمعنى ضدها، وذلك مثل (وراء بمعنى أمام) في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾(الكهف:٧٩)

وهناك أنواع أخرى من الطباق: كالطباق الحقيقي والطباق المجازي والطباق المعنوي (الحراج،٣١،٢٠٢١) ونحن في هذه الدراسة نركز على الطباق الايجابي والسلبي وقد أخذنا أمثلة ونماذج التطبيقية حول هذا الجانب من الطباق.

نماذج تطبيقية لمحسنة الطباق في شعر محمد مهدي الجواهري :

قصيدة (الخطوب الخلاقة) وهي قصيدة تعكس تقويم الشاعر المثقل بهموم قضايا الوطن المغترب في بلاد الجيك للظروف العربية والدولية قبل حرب حزيران (١٨٦٧) ، وعلى الرغم من هاجس خطب تمطى بصلبه وناخ بكلكله على صدر الشاعر الا انه لم يضيع وقتا وشاء ان يجعل من قصيدته رسالة للرئيس عبد الناصر ان يكون سباقا الى ما يمليه الخطب عليه وعلى القادة العرب الآخرين مما يجب فعله قبل ان يكون العدو بادئه ، ويقول: (الجواهري ، ١٩٧٣ ،٢/ ١٩٩-٢٠٧):

تعسر الصبح واستعصت ولادته حتى تشابكت الأنوار والظلم
تبارك الخطبُ تبلوه وتحمده انّ الخطوبَ اذا ما استثمرت نِعَمُ

نلاحظ في البيت الأول الطباق بين (الأنوار والظُّلَم) وهو طباق إيجاب؛ لأنه جمع بين لفظين متضادين مثبتين، ولم يأتِ أحد الضدين منفيًا، لذلك فهو من طباق الإيجاب، وهو من الطباق الاسمي، وبذلك وظّف الجواهري الطباق بين الأنوار والظُّلَم في سياق تصوير مرحلة انتقالية مضطربة، إذ يقول: حتى تشابكت الأنوار والظلم،فلم يجعل النور منفصلًا عن الظلمة، وإنما صوّرهما في حالة تشابك، وهي صورة توحي بتداخل الأمل واليأس، وانعدام الوضوح، واضطراب الواقع. فالطباق هنا لا يؤدي وظيفة التزيين اللفظي، وإنما يتحول إلى أداة تصويرية تعكس تعقيد المرحلة التاريخية التي يتناولها الشاعر، حيث لم ينتصر النور انتصارًا كاملًا، ولم تستأثر الظلمة بالمشهد، بل اجتمعا في صورة واحدة تعكس التردد والصراع.

ومن الناحية الدلالية، أسهم هذا الطباق في تكثيف المعنى؛ إذ أبرز التناقض بين قوتين متقابلتين :النور بوصفه رمزًا للهداية، والانبعاث، والحرية، والظلمة بوصفها رمزًا للقهر، والاستبداد، والأزمات. غير أن الشاعر لم يكتف بعرض التضاد، بل أضاف إليه فعل »تشابكت«، الذي أضفى على الصورة بعدًا حركيًا، فانتقل الطباق من مجرد مقابلة بين لفظين إلى تصوير حالة من الامتزاج والصراع، مما أكسب الصورة الشعرية عمقًا نفسيًا وفنيًا. ويكشف هذا التوظيف عن نزعة الجواهري إلى استثمار الطباق في بناء الرؤية الشعرية، بحيث يصبح عنصرًا بنائيًا يسهم في التعبير عن جدلية التحول التاريخي، لا مجرد محسن بديعي يقصد به تحسين اللفظ.

ويقول (الجواهري ، ١٩٧٣، ٢/ ١٩٩-٢٠٧) :

إني وجدت الليالي في تصرفها تأوي إلى حكم عدل ...وتحتكم

تدسُّ في الشرِّ خيرًا يُستضاءُ بهِ وتنزعُ الخيرَ من شرٍّ ويلتئمُ

يشتمل البيت الثاني على طباق واضح، يتحقق الطباق بين: (الشر والخير)وهو طباق إيجاب؛ لأن الضدين وردا مثبتين من غير نفي، كما أنه طباق اسمي؛ لأن التضاد وقع بين اسمين، ويلاحظ أن الجواهري كرر هذا التضاد في الشطرين، فجاء الطباق أولًا في قول: (في الشر خيرًا)، ثم أعاده في قوله :(الخير من شر)، مما أكسب التضاد قوةً إيقاعية ودلالية.

لا يقتصر الطباق في هذا البيت على الجمع بين الضدين، بل يتحول إلى وسيلة للتعبير عن فلسفة الشاعر في النظر إلى الحياة؛ إذ يقرر أن الخير والشر ليسا حقيقتين منفصلتين انفصالًا مطلقًا، بل قد يتداخل أحدهما في الآخر. فالشر قد يشتمل على عناصر خيرٍ »يستضاء بها«، كما أن الخير قد يولد من رحم الشدائد والشرور »ويلتئم«، في إشارة إلى قدرة الإنسان على تحويل المحنة إلى منحة.

ويقول الجواهري (الجواهري ، ١٩٧٣ ،٥/ ١٩٩-٢٠٧):

يُلْقِينَ ظِلًّا على وجهٍ فيلتطمُ ... ويزدحمنَ على وجهِهِ ويبتسمُ

يا جمرةَ الخطبِ ساقينا على الظمأِ ... للمصطلياتِ فأنتِ البارِدُ الشَّبِمُ

في البيت الثاني يتحقق الطباق بين: (جمرة و البارد) وهو طباق إيجاب؛ لأن اللفظين المتضادين وردا مثبتين دون نفي، إلا أن هذا الطباق ليس مباشرًا بين لفظين مجردين، وإنما جاء من خلال الصورة الاستعارية؛ فالجمرة ترمز إلى الحرارة والاشتعال، في حين أن البارد الشبم يدل على البرودة الشديدة، ومن ثم فإن التضاد يقوم بين دلالتي الحرارة والبرودة.

ويقول الجواهري(الجواهري ، ١٩٧٣ ،٢/ ١٩٩-٢٠٧):

وطهِّرِ البيتَ من رِجسٍ يُلوِّثُهُ ... ولن يُطهِّرَهُ إلا دمٌ... ودمُ

ولن يُطهِّرَهُ إلا مخايرةٌ ... أن يُعبدَ اللهُ، أو أن يُعبدَ الصنمُ

يوجد طباق في في البيت الأول بين:(طهِّر و يُلوِّث) وهو تضاد صريح بين التطهير والتلويث، وهو طباق إيجاب؛ لأن الفعلين وردا مثبتين، يؤدي هذا الطباق وظيفة دلالية واضحة؛ إذ يجسد الصراع بين النقاء والدنس، ويبرز ضرورة إزالة أسباب الفساد، ولم يأتِ التضاد هنا للتزيين اللفظي، وإنما لخدمة المعنى الرئيسي وهو الدعوة إلى التطهير الشامل، وقد أدى الجمع بين الفعلين المتضادين إلى إبراز شدة التناقض بين حالتي الطهر والرجس، مما منح الصورة قوةً إقناعية وتأثيرًا وجدانيًا.

ويقول الجواهري(الجواهري ، ١٩٧٣ ،٢/ ١٩٩-٢٠٧) :

يا مُنتجَ الضرباتِ البكرِ يُنزِلُها ... على دهاقنةٍ عن مثلِها عَقِمُوا

أكلَّ يومٍ جديدٍ أنتَ مُبدِعُهُ ... حتى كأنَّ لديكَ في قاموسِكَ القِدَمُ

في البيت الثاني يتحقق الطباق بين:(الجديد و القِدَم) وهذا طباق إيجاب؛ لأن اللفظين وردا مثبتين، وهما اسمان متضادان، وقد أسهم الطباق في إبراز التناقض بين التجديد الذي يمثل الحركة والإبداع، والقدم الذي يرمز إلى الثبات والركود، ومن خلال هذا الجمع بين الضدين، عمّق الشاعر دلالة التفوق والتميز، وأكسب الصورة الشعرية حيوية وديناميكية، حتى بدا المخاطب وكأنه يتجاوز حدود المألوف، فلا مكان للقدم في معجمه الفكري أو العملي.

قصيدة (القرية العراقية): تمثل قصيدة (القرية العراقية) نموذجًا متكاملًا للشعر الوصفي عند الجواهري؛ فهي لا تكتفي بتصوير جمال الطبيعة، بل تجعل منها إطارًا للكشف عن القيم الإنسانية والاجتماعية التي تميز المجتمع الريفي. وقد نجح الشاعر في بناء نص يجمع بين دقة الملاحظة، وغنى الصورة الشعرية، وجزالة اللغة، والتوازن الموسيقي، مع توظيف بارز للمحسنات

البلاغية، ولا سيما الطباق والاستعارة والتشخيص، ومن ثم تظل القصيدة من أبرز النصوص التي تجسد النزعة الرومانسية الوصفية في الشعر العربي الحديث، مع احتفاظها بعمق فكري ورؤية نقدية تتجاوز حدود الوصف إلى تأمل الإنسان وعلاقته بالطبيعة والمجتمع.ونحاول من خلال هذه القصيدة أن نذكر الأبيات التي تتضمن الطباق مع تحديد أنواعه وصوره.

وتشتمل هذه الأبيات من قصيدة (القرية العراقية) على الطباق كالآتي:

يقول الجواهري (الجواهري،١٩٧٣، ١٤٥/٢):

منظـرٌ للحقـولِ إذ تُشـرقُ الشـمسُ جميـــلٌ وإذ يَحـــينُ الغـــروبُ

وكـذاك المرعـى الخصـيبُ يُحلِّيـه إلـــى النـــاظرين مرعـــىً جـــديبُ

يقع الطباق بين: (تُشرق و الغروب) وهو طباق إيجاب؛ لأن اللفظين وردا مثبتين، ويقومان على التضاد الزمني بين بداية النهار ونهايته، وجاء الطباق ليؤكد أن جمال الطبيعة لا يقتصر على لحظة دون أخرى، بل يمتد إلى طرفي الزمن؛ فإشراق الشمس يمثل بداية الحياة والحركة، في حين يمثل الغروب السكون والهدوء. ومن خلال الجمع بين هذين الضدين، أبرز الشاعر دوام الجمال في مختلف أوقات اليوم، وأضفى على المشهد اتساعًا زمانيًا وشمولًا فنيًا. وقد أسهم الطباق في إغناء الصورة الشعرية وإكسابها حركةً وحيوية، إذ انتقل بالمتلقي من لحظة الإشراق إلى لحظة الغروب في إطار مشهد واحد متكامل.

يقع الطباق بين: الخصيب والجديب وهو طباق إيجاب (اسمي) يمثل هذا الطباق من أجمل صور التضاد في القصيدة؛ إذ يقابل الشاعر بين الخصب الدال على الوفرة والنماء، والجدب الدال على القحط واليبس. ولم يرد هذا التضاد لمجرد التزيين، وإنما جاء لتأكيد أن قيمة الخصب لا تُدرك إلا إذا قورنت بضدها. وهكذا أصبح الطباق أداة لإبراز الجمال عن طريق التضاد، وهو ما ينسجم مع قوله السابق :(يُظهر الشيءَ ضدُّه).

ويقول أبيات الأخرى من قصيدة (القرية العراقية) (الجواهري،١٩٧٣، ١٤٦/٢،١٤٥):

وتراهـــا وشـــعلةَ الشـــفقِ الأحمـــرِ تبـــــدو أثناءهـــــا وتغيـــــب

شـــامخٌ كالـــذي يُنـــاطُ بـــه الحكـــمُ لـــــه جَيئـــــةٌ بهـــــا وذُهـــــوب

يقع الطباق بين: (تبدو و تغيب) وهو طباق إيجاب (فعلي)؛ لأن الفعلين متضادان، وقد وردا مثبتين من غير نفي،يُعد هذا الطباق من أجمل مواضع التضاد في القصيدة؛ إذ يصور الحركة المستمرة بين الظهور والاختفاء أثناء تداخل السحب مع حمرة الشفق. وقد أسهم التضاد بين الفعلين في إضفاء الحيوية على المشهد، فجعل الصورة متحركة لا ثابتة، وأوحى بتقلبات الطبيعة

في لحظة الغروب. ولا يؤدي الطباق هنا وظيفة زخرفية، بل يسهم في تجسيد المشهد البصري وإبراز التغير التدريجي للضوء، مما يعمق الأثر الجمالي في نفس المتلقي.

و(جيئة و ذُهوب) وهو طباق إيجاب (اسمي)، لأنهما مصدران لفعلين متضادين :جاء وذهب، جاء هذا الطباق في سياق وصف حركة الكلب بين المزارع، فأسهم في تصوير نشاطه الدائم ويقظته المستمرة. وقد أكسب التضاد الصورة حيوية وإيقاعًا داخليًا، إذ انتقل الوصف من السكون إلى الحركة، مما جعل المتلقي يتخيل حركة الكلب ذهابًا وإيابًا في حراسة الحقول، ومن ثم فإن الطباق هنا يؤدي وظيفة تصويرية تتجاوز التحسين اللفظي إلى بناء مشهد حي متحرك.

في أبيات أخرى يقول الجواهري(الجواهري،١٩٧٣، ١٤٧/٢):

يتساوى غروبُهم وركودُ النفسِ ... منهم وفجرُهم والهبوبُ
يلحظون السماءَ آناً فآناً ... ضحكُهم طوعُ أمرها والقُطوب
أتُرى الجوَّ هادئاً أمْ عَصوفاً ... أتصوبُ السماء أمْ لا تصوب
مطمئنونَ يحلُمونَ بأنَّ الخيرَ ... والشرَّ كُلّهُ مكتوب

نلاحظ في هذه الأبيات يقع الطباق في هذه الأبيات بين: (غروب و فجر) وهو طباق إيجاب (اسمي) ، وبين (هادي و عصوف)وهو طباق ايجاب (وصفي) وبين (الخير والشر) و(سرور وحزن) طباق إيجاب (اسمي) وبين (تصوب ولاتصوب) وهو طباق سلبي، واعتمد الشاعر على الطباق بوصفه أداةً لتجسيد الإيقاع المتقلب للحياة الريفية، فنوّع بين الطباق الزمان (الغروب/الفجر)، والنفسي(السرور/الحزن والضحك/القطوب)، والطبيعي (هادئ/عصوف)، والأخلاقي (الخير/الشر) ، وقد أدى هذا التنوع إلى بناء شبكة من الثنائيات المتضادة التي أسهمت في تعميق الدلالة وإبراز العلاقة الوثيقة بين الإنسان والطبيعة، وبين الواقع النفسي وتقلبات البيئة. كما أن الطباق في هذه الأبيات تجاوز وظيفته التقليدية في تحسين اللفظ، ليصبح عنصرًا بنائيًا يرسخ الرؤية الفكرية للشاعر، ويمنح النص تماسكًا دلاليًا وإيقاعيًا. ومن الجدير بالذكر أيضًا أن قوله: (أتصوب السماء أم لا تصوب) يُعد مثالًا على طباق السلب؛ لأنه جمع بين الفعل المثبت والمنفي من مادة لغوية واحدة، وهو من الأنواع التي نص عليها البلاغيون في تقسيماتهم للطباق. ويقول الجواهري:

أفإيمانُنا بعيدٌ عن الخيرِ ... وكفرانُنا إليه قريبُ
كل ما فيه موحش وكئيب ... وفيها هذا المحيط الطروب

(الجواهري،١٩٧٣، ١٤٧/٢)

يقع الطباق في هذه الأبيات بين: (بعيد و وقريب) وهو طباق أيجاب (وصفي) وبين (إيماننا و كفراننا)وهو طباق ايجاب (اسمي) وبين (موحش والطروب) وهو طباق إيجاب لأن الوصفين متضادان في الدلالة الشعورية، ويُوظِّف الشاعر الطباق في هذه الأبيات بوصفه وسيلةً للكشف عن التناقضات الفكرية والنفسية التي تحكم رؤية الإنسان إلى الحياة. ويتجلى ذلك بوضوح في الطباق بين الإيمان والكفران والبعد والقرب، حيث يسهم التضاد في بناء حجاج شعري يقوم على مساءلة المفاهيم السائدة وإثارة التفكير. كما يُبرز الطباق بين الوحشة والطرب التحول الوجداني الذي يعيشه الشاعر أمام الطبيعة. وبهذا يغدو الطباق عنصرًا بنائيًا يؤدي وظيفة دلالية ونفسية، تتجاوز حدود التحسين اللفظي إلى تعميق الرؤية الشعرية وإثراء البنية الإيحائية للنص.

ويقول الجواهري في أبيات أخرى من القصيدة والتي تتضمن على الطباق(الجواهري،١٩٧٣، ١٤٩/٢-١٥١):

وعيوني هلا نضبتِ وقد ينضب ... من فرط ما يسيل القليب
نحنُ نبتُ الطبيعةِ البِكرِ فينا ... حسناتٌ منها .. وفينا عيوب
ما علينا ما غاب عنا ... فعند الله تحصى مظاهر وغيوب
فيقولون: كلُّ شيءٍ صريحٌ ... عندنا – عندكم خليطٌ مشوبُ

نلاحظ في هذه الأبيات يقع الطباق بين: (نضب و سال) و (حسنات وعيوب) و(مظاهر وغيوب) و (صريح و مشوب) وتكشف هذه الأبيات عن نزعة الجواهري إلى توظيف الطباق بوصفه وسيلة لتكثيف الرؤية الفكرية والنفسية، لا مجرد محسن بديعي. فقد جاء الطباق الحقيقي في ثنائيات مثل (نضب و سال) و(حسنات و عيوب) و(مظاهر وغيوب)، حيث أسهم في إبراز التناقض بين الامتلاء والفراغ، والكمال والنقص، والظاهر والخفي، مما عمّق الدلالة وأكسب النص قوةً إيقاعية وفكرية، وبين (صريح ومشوب) حيث استثمره الشاعر لإبراز المفارقة بين الوضوح والاختلاط، وجعله وسيلة لتقويم القيم الاجتماعية بين الريف والمدينة.

قصيدة (الصبر الجميل) وهي قصيدة تمثل رؤيةً فلسفية وأخلاقية لمفهوم الصبر عند محمد مهدي الجواهري، إذ لا ينظر إليه بوصفه حالةً من السكون أو الاستسلام، وإنما يعدّه قوةً نفسيةً وإرادةً فاعلةً تدفع الإنسان إلى مواجهة الشدائد وتحقيق الغايات. ومن ثم ينتقل الشاعر بالصبر من مفهومه التقليدي القائم على الاحتمال السلبي إلى مفهوم ديناميكي يقوم على العزيمة والطموح والثقة بالنفس، وهو ما ينسجم مع النزعة الإنسانية والثورية التي تميز شعره.

ويقول الجواهري في قصيدته (الجواهري، ١٩٧٣، ٢/٢٧٧-٢٧٨) :

مِحَـــكُ طبـــاعِ آبيـــاتٍ وطُـــوَّعِ ... وبَلـــوى نفـــوسٍ طامحـــاتٍ ووُضَّـــعِ

يُعنَّـى بـه حُـرٌّ لإحقـاقِ جـرئٍ غايـةٍ ... ويَخـــرُجُ عنـــه آخـــرٌ للتضـــرُّعِ

نلاحظ في البيت الأول نوع الطباق هذا طباق إيجاب (وصفي) ويقع بين: آبيات (آبية، رافضة للذل) وطوع (منقادة أو مطاوعة) يعرض الشاعر نوعين من الطباع الإنسانية، فيجعل الصبر معيارًا يكشف النفوس الأبية والنفوس المستسلمة وقد أدى الطباق وظيفة إبراز التباين النفسي والأخلاقي بين الشخصيتين، وأسهم في تقوية المعنى وإيضاحه.

وفي قصيدة (العدل) والتي تُعد قصيدة من القصائد الفكرية والاجتماعية التي يجسد فيها محمد مهدي الجواهري رؤيته النقدية لمفهوم العدالة، إذ لا يتناول العدل بوصفه مبدأً أخلاقيًا مجردًا، وإنما يناقش الفجوة بين دلالته النظرية وتطبيقه في الواقع السياسي والاجتماعي، فالقصيدة تنتمي إلى الشعر التأملي ذي البعد الإصلاحي، وتكشف عن موقف الشاعر من استغلال السلطة لمفهوم العدالة وتحويله إلى أداة لتكريس الهيمنة والمصالح.

ويقول الجواهري (الجواهري، ١٩٧٣، ٢١١-٢١٢):

لعمـــرُك إنَّ العـــدلَ لفـــظٌ اداؤُهُ ... بســـيطٌ ولكـــن كنهُـــه متعسِّـــرُ

تخيَّلَـــه عقـــلٌ نشـــيطٌ أرادَه ... دلـــيلاً لقـــومٍ فـــي الحيـــاة تعثَّـــروا

يفسِّـــرُهُ المغلـــوبُ أمـــراً مناقضـــاً ... لمـــا يرتأيـــهِ غالـــبٌ ويفسِّـــر

ولمـــا رآه الحـــاكمون قذيفـــةً ... تُضعضِـــعُ مـــن أهـــوائهم وتـــدمِّر

ولـــم يجـــدوا مَندوحـــةً عـــن قَبولـــه ... لإرضـــاءِ مخـــدوعينَ بالعـــدل غَّـــرروا

أتَـــوه بتـــاؤيلاتِهم يُفســـدونه ... قـــوانينَ باســـم العـــدل تَنهـــى وتـــأمُر

نلاحظ في هذه الأبيات صور للطباق الذي يقع بين (بسيط ومتعسر) وهو طباق ايجاب (وصفي)، والطباق بين (المغلوب والغالب) وهو طباق ايجاب (اسمي) والطباق بين (تنهي وتأمر) وهو طباق ايجاب (فعلي) و اعتمد الجواهري في هذه الأبيات على الطباق بوصفه وسيلةً لإبراز التناقض بين القيم المثالية والواقع الاجتماعي ويتجلى ذلك في الطباق بين (بسيط ومتعسر) الذي يفضح الهوة بين سهولة الحديث عن العدل وصعوبة تحقيقه، وبين (المغلوب و الغالب)الذي يكشف نسبية تفسير العدالة تبعًا لموازين القوة، وكذلك في (تنهى وتأمر) الذي يصور ازدواجية السلطة القانونية، وقد تجاوز الطباق في هذه الأبيات وظيفته التقليدية في تحسين اللفظ، ليغدو أداةً فكرية تكشف المفارقات السياسية والاجتماعية، وتعزز النزعة النقدية التي تميز شعر الجواهري.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة، من خلال تحليل محسنة الطباق في قصائد (الخطوب الخلّاقة) و(القرية العراقية) و(العدل) و(الصبر الجميل) لمحمد مهدي الجواهري مايأتي:

١- أن الطباق يشكّل عنصرًا بنائيًا أصيلًا في تجربته الشعرية، وليس مجرد محسن بديعي يُقصد به تحسين اللفظ أو إضفاء الزينة الأسلوبية، فقد جاء الطباق في شعر الجواهري مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا ببنية المعنى، وأسهم في بناء الرؤية الفكرية والوجدانية للنص، حتى غدا وسيلة فنية للكشف عن التوترات النفسية، والتناقضات الاجتماعية، والصراعات الفكرية التي تشغل الشاعر.

٢- بينت الدراسة أن الطباق في شعر محمد مهدي الجواهري يمثل وسيلةً فنيةً وفكريةً فاعلةً، استطاع الشاعر من خلالها أن يجسد رؤيته الجدلية للحياة، القائمة على الصراع بين الأضداد، وأن يمنح قصائده عمقًا دلاليًا وإيقاعيًا ينسجم مع فخامة لغته وقوة تجربته الشعرية.

٣- أظهرت الدراسة أن الجواهري أحسن توظيف الطباق بمختلف أنواعه، ولا سيما طباق الإيجاب، الذي ورد بكثرة في قصائده من خلال الثنائيات المتضادة مثل: الخير والشر، الغالب والمغلوب، الغروب والفجر، الضحك والقطوب، بعيد وقريب، بسيط ومتعسر، تنهى وتأمر، فضلاً عن بعض صور طباق السلب، كما في قوله : (أتصوب السماء أم لا تصوب) وقد أدت هذه الثنائيات وظيفة دلالية تتجاوز حدود التحسين اللفظي، إذ أسهمت في إبراز المفارقات، وتعميق المعنى، وتكثيف الأثر النفسي في المتلقي.

٤- في قصيدة (الخطوب الخلّاقة)، جاء الطباق أداةً لتجسيد الصراع بين اليأس والأمل، والخراب والبناء، والظلمة والنور، بما يعكس رؤية الشاعر إلى قدرة المحن على صناعة التحولات التاريخية، أما في (القرية العراقية)، فقد ارتبط الطباق بالوصف الفني للطبيعة والإنسان، وأسهم في تصوير الحركة المستمرة للحياة الريفية من خلال ثنائيات مثل: الغروب والفجر، الخير والشر، السرور والحزن، الهدوء والعصف، مما منح الصورة الشعرية حيويةً واتساعًا دلاليًا.

٥- في قصيدة (العدل)، اتخذ الطباق بعدًا فكريًا وحجاجيًا، فكشف عن التناقض بين المثال النظري والواقع الاجتماعي، وأبرز اختلال مفهوم العدالة من خلال مقابلة مفاهيم مثل: المغلوب والغالب، بسيط ومتعسر، تنهى وتأمر، أما في (الصبر الجميل)، فقد ارتبط الطباق بإبراز التفاوت بين الصبر الإيجابي القائم على الإرادة، والصبر السلبي القائم على العجز، وإن كانت هذه القصيدة تعتمد في كثير من مواضعها على المقابلات الفكرية أكثر من اعتمادها على الطباق الاصطلاحي.

٦- إن الجواهري أعاد توظيف هذا الفن البلاغي في إطار شعري حديث، متجاوزًا وظيفته التقليدية بوصفه محسنًا بديعيًا، ليغدو أداةً من أدوات بناء المعنى وتشكيل الرؤية الشعرية، وهو ما يؤكد أصالة تجربته، ويبرز مكانته بين كبار شعراء العربية في العصر الحديث.

قائمة المصادر:

١- آبادي، الفيروز (١٩٩٦) ، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٥، بيروت.
٢- ابن دريد، أبي بكر محمد بن حسين (١٩٩٨) ، جمهرة اللغة، تح:رمزي منير، دار العلم للملايين، بيروت.
٣- ابن فارس، أبو الحسين احمد (١٩٩٩) ، معجم مقايس اللغة، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
٤- ابن منظور،محمد بن مكرم، لسان العرب ، دار صادر، ط١، بيروت.
٥- الجرجاني، عبد القاهر(١٩٩١) ، اسرار البلاغة، قرأة وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة مدني، ط١، القاهرة.
٦- الجواهري، محمحد مهدي (١٩٧٣) ، ديوان الجواهري، مطبعة الأديب البغدادية، العراق.
٧- الحراج، عامر خليل (٢٠٢١) ، البلاغة التعليمية (علم البديع) ، شرفات للنشر والدراسات، ط١، تركيا.
٨- العسكري، أبو هلال (١٩٨٩) ، كتاب الصناعتين، ،تح: مفيد قمصة،ط٢، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان.
٩- القزويني، عبد الرحمن الخطيب(١٩٣٢) ، التلخيص من علوم البلاغة: ، شرحه عبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى ط٢ ،مصر.
١٠- القيرواني، ابن رشيق (١٩١٨) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين، دار النيل، ط٥، مصر.

List of Sources:

1.Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Muhammad ibn Ya'qub (1996). *Al-Qamus al-Muhit* [The Comprehensive Dictionary]. Edited by the Heritage Verification Office at Al-Risalah Foundation. 5th ed. Beirut.
2.Ibn Durayd, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan (1998). *Jamhara(t) al-Lughah* [The Compendium of the Arabic Language]. Edited by Ramzi Munir. Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut.
3.Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmad (1999). *Mu'jam Maqayis al-Lughah* [Dictionary of the Standards of Language]. Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun. Dar al-Fikr, Beirut.
4.Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram. *Lisan al-'Arab* [The Arabic Language]. Dar Sadir, 1st ed., Beirut.
5.Al-Jurjani, Abd al-Qahir (1991). *Asrar al-Balaghah* [The Secrets of Eloquence]. Read and annotated by Mahmud Muhammad Shakir. Madani Press, 1st ed., Cairo.
6.Al-Jawahiri, Muhammad Mahdi (1973). *Diwan al-Jawahiri* [The Collected Poems of al-Jawahiri]. Al-Adib al-Baghdadi Press, Iraq.
7.Al-Harraj, Amir Khalil (2021). *Al-Balaghah al-Ta'limiyyah (Ilm al-Badi')* [Educational Rhetoric: The Science of Ornamental Rhetoric]. Shurufat for Publishing and Studies, 1st ed., Turkey.
8.Al-'Askari, Abu Hilal (1989). *Kitab al-Sina'atayn* [The Book of the Two Arts]. Edited by Mufid Qamhiyyah. 2nd ed. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.
9.Al-Qazwini, Abd al-Rahman al-Khatib (1932). *Al-Talkhis min 'Ulum al-Balaghah* [The Summary of the Sciences of Rhetoric]. Explained by Abd al-Rahman al-Barquqi. Al-Maktabah al-Tijariyyah al-Kubra, 2nd ed., Egypt.
١٠.Ibn Rashiq al-Qayrawani (1918). *Al-'Umdah fi Mahasin al-Shi'r wa Adabih* [The Pillar Concerning the Merits and Etiquette of Poetry]. Edited by Muhammad Muhyi al-Din. Dar al-Nil, 5th ed., Egypt.